اقتصاد نفسى

منير عامر

إلى مصطفى الفقى مع كل المحبة

ليست لى علاقة سرية ومباشرة مع قادة هذه المرحلة من تاريخ هذا البلد، ولكن علاقتى بأجهزة الحكم المعاصرة هى علاقة قداسة ليوم الثلاثين من يونيو الذى كان بمثابة «الفلتر» لخطايا الخامس والعشرين من يناير؛ فلم يكن صفاء شباب الخامس والعشرين من يناير قادرًا على فرز الخفايا الفيروسية التى تسللت فسرقت من حركة الشباب نقاءها؛ وتحولت ساحة ميدان التحرير إلى ملعب لعديد من شياطين التجسس من كل ملة.

وطبعًا لم يكن ذلك الربيع العربى إلا حفيد مقولة السادات إن تسعة وتسعين بالمائة من أوراق الشرق الأوسط فى يد الولايات المتحدة، الذى انفتحت من بعده تيارات تصفية أى حلم بالعدل الاجتماعى بقيادة عثمان أحمد عثمان وطبقة القطط السمان والتى صارت حيتانا فى عصر الاستقرار المنقلب إلى ركود على عين وتحت سمع وبصر حسنى مبارك. وفى عهده ترهل التعليم واتسعت الهوة بين فئات المصريين، وكانت السنوات الخمسة عشرة من حكم مبارك تتميز بالنزاهة والحيرة فى آن واحد، وما أن خرج أسامة الباز من مكتب مبارك حتى علا صوت المتع الصغيرة على دهاليز قصر الحكم. وحاول مصطفى الفقى أثناء وجوده كمدير لمكتب الرئيس أن يوقف فيضان ونزيف التدهور فلم تتركه ألسنة الأفاعي؛ فعاد إلى وزارة الخارجية ليعمل سفيرا لمصر فى فيينا ويهدى مصر هنالك مبنى سفارة يمكن أن تعتز بها اجيال واجيال، ثم راح إلى منصب مساعد الوزير للشئون العربية ليرمم قدر استطاعته فى الجسور التى كان يتم نسفها تباعا بين البلدان العربية. ولم يفقد الرجل جذوره النابعة من طين الارض المستوعبة لتاريخ المصريين ليتوحدوا وكان النموذج امام عيونه هو الحركة السياسية لمصر منذ ثورة ١٩١٩ وكيفية تآزر النسيج الوطنى إلى ما بعد ثورة يوليو ١٩٥٢. وكان عمله سواء فى إدارة المراسم بعد هزيمة يونيو أو مبعوثا فى سفارتنا بالهند حيث يتحول التنافر إلى موسيقى ديمقراطية يندر وجودها بأى موقع فى الكون، ثم عمله كمستشار بسفارتنا بلندن، قبل أن يعود إلى القاهرة مرتشفا من كل المواقع السابقة رحيق خبرة نادرة، وحاول أثناء وجوده بقصر الحكم أن يوفى دين الوطن، لكن أفاعى البحث عن مكاسب صغيرة احترفت الدس له فعاد إلى الخارجية يتحدث فى مقالاته عن سكان الدور المسحور فى حكم مصر.

> حاول مصطفى الفقى أثناء وجوده كمدير لمكتب الرئيس أن يوقف فيضان ونزيف التدهور فلم تتركه ألسنة الأفاعى

وعندما استقر أمر خروج إسماعيل سراج الدين من مكتبة الإسكندرية، كنت لا أرى غير مصطفى الفقى جديرا بقيادتها فهو المحترف تجميع إيجابيات التاريخ ليلقى الضوء على المستقبل.

وكانت هذه المساحة من» روزاليوسف» هى التى حملت ترشيحى له فى هذا الموقع. وطبعا توافق ذلك مع رؤية القيادة السياسية؛ وكان ترشيحى له سابقا لتوليه هذا المنصب بشهور. وطبعا كنت أحمل تقديرا مشوبا بالعتاب الحاد لإسماعيل سراج الدين الذى استخدم رؤية د. مصطفى العبادى فيلسوف تاريخ البحر المتوسط وخرجت المكتبة إلى النور مشبعة بخبرات إسماعيل سراج الدين فى البنك الدولى فضلا عن حلمه المكسور بمنصب أمين اليونسكو. وقد اتقن الرجل البناء إلا أن حياته لمعظم سنوات عمره فى دهاليز المؤسسات الدولية صبغت أسلوب إدارته فضلا عن تضخم ذات ليس له نظير أو مثيل فيما رأيت فى سنوات عمرى الثمانية والسبعين عاما. وما أن تلوثت المكتبة برذاذ التأسلم حتى بدأت هجوما واضحا ضد أسلوب إدارة سراج الدين وتمنيت حالما أن يديرها مصطفى الفقي، وهو من يعلم من تاريخنا الشخصى أنى بلا أطماع سوى الحلم بنهار مصرى يضيء العروبة والشرق الأوسط، فضلا عن أن الصحة ليس فيها مساحة من عطاء سوى لبعض الأفكار التى يمكن أن يستفيد بها غيري.

وأخطأ بعض القائمين على أمر المكتبة ممن طالتهم مسحة من عبودية مختارة لمثقف عظيم يشوبه انتفاخ يكاد أن يوقعه فى براثن الوهم أن الحق سبحانه قد استشاره قبل أن يخلق الكون سائلا إياه كيف يمكن إدارة هذا العالم؟ وبطبيعة الحياة فى المنظمات الدولية التى أطلق أنا عليها مجمع الجثث المتحدة والتى حاول بطرس بطرس غالى بعث الحياة فيها فحالت بينه وبين ذلك مادلين اولبريت التى ارادته صدى لصوت الولايات المتحدة ولكن الرجل رفض المساومة على تاريخه، ومن العجيب أن تاريخ مجلس الأمن شهد فى التاريخ الحديث تصويتا بنسبة أربعة عشر صوتا لصالح أمرين أولهما التجديد لبطرس غالى فى منصب الأمين العام ليوقف ذلك فيتو امريكي، والأمر الثانى هو التأكيد على عروبة القدس ضد قرار الولايات المتحدة، وجاء الفيتو الأمريكى ليوقف ذلك.

ولأن مجيء مصطفى الفقى إلى المكتبة أكسبها الجنسية المصرية الهادفة إلى تجميع فتات الحلم العربى الممزق فى أفواه الدول الكبرى، لأن الأمر كذلك ويتصادف مع مرور مئة عام على ميلاد عبد الناصر ومثلها للسادات؛ فإذا اضفنا لها خبرة مصطفى الفقى للحياة الساسية فيما قبل يوليو ومنذ ثورة ١٩١٩ لذلك يملأنى حلم أن تقوم المكتبة بجرد تاريخى لما يصلح للحياة السياسية المصرية ليكون أساسا للاختيار فى زمننا المقبل.

ومصطفى الفقى قادرعلى ذلك بمشيئة الله.